

الفصل الخامس

(قاعة المحكمة.. باب القاعة الرئيسي في أقصى يسار المسرح.. أمامه بهو.. وعلى باب القاعة يقف الحراس تحت رئاسة الكولونيل عزام.. تناثر بعض الناس على المقاعد بينما يدخل الآخرون أثناء رفع الستار.. الناس من رجال ونساء هم مستوطنون تدل ملابسهم على ثراء ملحوظ.. وبينهم بعض الضباط من المظليين ومن اللفياف الأجنيبي بثيابهم الرسمية.. عزام يفحص بطاقات المدنيين الذين يدخلون.. قفص الاتهام في الصدر وراءه باب.. المنصة على اليمين وراءها باب آخر).

امــــــرأة : (لعزام) أنت المسئول عن الجلسة؟

مستوطن : أتراك تجيد حراستنا؟

عــــزام : أرجو هذا.. أو فليُحْرَسَ كُلُّ رأسه

(يضحكون.. ويدخل الرجل والمرأة إلى القاعة)

مستوطن ثان : أوَ يمكن أن يتسرب إرهابي إلى المحكمة؟

عــــزام : ومن يدري!

امرأة ثانية : أنا أعرف شرك يا عزام فلا تكتمه

عــــزام : وما سري؟

المرأة الثانية : (لرجل جوارها) هو يحسب أنا لا نعلم!

امرأة ثالثة : (لعزام) لن يدخل مسلم

عــــزام : أوه.. كيف عرفت التعليمات السريه؟

- لم تسمع سيدتي مني هذا بالطبع
 المرأة الثالثة : (وهي تدخل بدلال) أولاً.. مون شير
- إن رئيس المحكمة صديقي !
 مستوطن للمرأة : (مشيراً إلى عزام) هو أخلص من في خدمتنا
- ولهذا يعجب عمدتنا
 مستوطن آخر :
 ضابط : (من مقعده مشيراً إلى إحدى الداخلات) هاللو..
- (وهي تقعد) هل جاءت من برباروسه ؟
 المرأة :
 الضابط : (الذي كان يثير) الآن ستفتح الجلسة
- (لرجل وراءها) لا بد لنا من أن نشهد حفل السواريه
 المرأة :
 لأن الفيلم غداً بالذات سيتغير
- أوكيه.. أوكيه
 رجل :
 مستوطن : (للمرأة) تأمرك زوجك منذ تعرف مع سائحة أمريكية !
- اسكت ، حتى لا تسمعك صديقتك الباريسيه
 زميله :
 الضابط : (يضم فتاة ويقبلها) لا أحد سواك أفضله
- أتراني أدفا من ب. ب. أو أجمل من مارلين مونرو ؟
 المرأة :
 ضابط من خلفه : هنا محكمة لا شارع لتوفر هذا للمخدع !
- (الذي كان يقبل المرأة) أنت عدو للحرية ؟
 الضابط :
 مستوطن في صف : اليوم ستسقط رأس الأفعى
- اليوم ؟ أنا لا أتصور ! قل بعد ثلاثة أيام أو أربعة
 زميله :

زميل ثالث : أو قل أكثر

(رجل من على الباب من ناحية المدخل يقول لزميله وهما
يدخلان)

لَمْ لَمْ تَقْتُلْ فِي السَّجْنِ كَسَوَاهَا؟

زميله : بل لا.. لا... لا

المستوطن : ألدينا وقت لنحاكم؟

زميله : قد عرف العالم قصتها.. أترانا نتحدى العالم؟

ثالث ينحشر : هذا شيء يذهلني كيف تسرب هذا السر من السجن؟
بينهما :

مستوطن من : (لجاره) أو لم تدخل محكمه
مكان آخر : أم تجهل طول الإجراءات؟

امـــــرأة : (تدخل في الحديث وتقول بأهمية) سنفزع منها في ساعه!
(يذوب كلاهما في همس)

المستوطن الأول : أعجزنا عن سحق الإجرام لنقيم محاكم؟
لتغير تلك السلطات

(دخل كل الناس الآن واتخذوا مقاعدهم)

(يفتح الباب الذي في قفص الاتهام وتدخل جميلة ووراءها
حرس.. يعلو الهرج والصخب)

أصـــــوات : الموت لقاتلة الأطفال.. الموت لها.. الموت... لتحرق

فلتعدم.. لتقتل عاشقة المجرم..

(يفتح الباب الذي يؤدي إلى منصة القضاء.. يدخل القضاة
وممثل النيابة ومحام وكاتب الجلسة. يعلو الصخب وجميلة
تنظر في كل هذا وتبسم)

الرئيس : يا سادة إن لم تلتزموا الصمت سأخلي القاعة..
(تحف الضجة تدريجياً)

الرئيس : كولونيل عزام.. أغلق أبواب المحكمة..

عزام : سيجيء محام من باريس... أأمنعه؟

(جميلة تتعرف على عزام وتنظر إليه طويلاً وهي تكاد
تختلج)

عضو اليسار : (همساً للرئيس) اتركها.. اتركها.. هذا أحكم!

الرئيس : إن الجلسة علنية فدع الأبواب كما كانت فليدخل منها من
يدخل

(الصخب يستمر والنداءات ترتفع)

فلتعدم.. الموت.. الموت

الرئيس : باسم الجمهورية باسم الشعب

نفتح الجلسة يا سادة!

الرئيس : (لكاتب الجلسة) الآن، لتقرأ قائمة الـ...

جميلة : (مقاطعة) لي كلمة قبل البدء أيسمح لي؟

عضو اليسار : قول ما شئت فهذا حقك

الرئيس : واختصري

- جميلة : محاكمتي في هذا الوقت من الليل
في ساعة حظر تجولنا...
- الرئيس : (مقاطعة) أ على التهمة أن تختار لنا الساعات
وتقول لنا أي الأوقات تناسبها لنحاكمها؟!
- (ضحك وصخب)
- عضو اليسار : دعي هذا لمحاميك
- الرئيس : (للكتاب) اقرأ قائمة التهم
- السكرتير : (يقرأ) انضمت إلى عصابة جاسر وهي عصابة سفاحين
مهمتهم قتل الأفراد
واشتركت في نسب كثير من ممتلكات الدولة
حوادث قتل بالجملة وبيان التهم كما يأتي :
- جميلة : (مقاطعة) ولماذا لا تلقون القبض على القتلة
من دبر مذبحه القصبه
من قتل مئات الوطنيين بلا جرم في المعتقلات؟
من عذبني في سجن تعذيباً همجياً يزري بكرامتكم
(صخب) .
- أصوات : لتحرق فوراً في الكاسبا.. فلتشنق فوراً.. فلتحرق
- الرئيس : (ثائراً عليها) الصمت.. الصمت
- عضو اليسار : (ناصحاً) قللي ما عندك في حكمه
ولا تندفعي في كلمه

- الرئيس : كم سنك
- جميلة : تسعة عشرة بالتقريب
- عضو اليمين : (لرئيس) لم تبلغ سن الرشد الكافي بعد
- جميلة : (تقاطععه) لكنني في السن الكافي للمعركة وللتعذيب !
- صخب : أتراها تسخر؟ لن نصبر! لنمت.. فلتعدم.. فلتعدم
- المستوطنين : (أثناء الصخب يظهر جاسر من باب القاعة في ملابس ضابط من الليفيف الأجنبي ، وعزام يسك به ويحدثه في المدخل بينما القضاة يتهامسون)
- عزام : كيف تغامر بأمانك؟ لم جئت؟
- جاسر : أنا ذا قد جئت.. فلا تسأل
- عزام : فلتجلس في هذا المقعد
- (جاسر يقعد في آخر القاعة)
- الرئيس : (لجميلة) أصبح أنك عضو في تنظيم يرأسه إرهابي يدعى جاسر؟
- جميلة : (مقاطعة) لن أتحدث دون محام
- المحامي : (يتودد) أنا يا آنسة محاميك.. أنا
- جميلة : (مقاطعة) من وكل عني هذا الرجل؟
- عضو اليسار : المحكمة انتدبته لتوفر لك كل حقوقك
- جميلة : ولكتي أنتظر سواء من باريس
- الرئيس : لقد أرسل يطلب تأجيل الدعوى أسبوعين..

فلم تقبل ولهذا قرر ألا يحضر

جميلة : حضور محام عني جزء لا يتفصل عن الدعوى
فإذا حوكت بغير دفاع ، فمحاكمتي تبطل أصلاً

صخب : فليقطع رأس المجرمة.. فليقطع فوراً.. فلتعدم

عضو اليمين : أتراها قد درست قانوناً ، فهي تجيد المصطلحات!

جميلة : يا سادة

الرئيس : (ثائراً) أنا لم أذن لك بالكلمه

جميلة : أنت أذنت لهذا الجمع بأن يعوي في طلب الدم؟

المحامي : (لجميلة) أنا مثلك عربي مسلم ومن حركتنا الوطنيه

جميلة : بل أنت عميل متعفن!

ممثل النيابة : أرايتم ، هي لا ترعى حرمة!

المحامي : فلنطردها كيلا تسخر من باقي القيم المحترمه

جميلة : (لممثل النيابة) أنا عذبت أمامك أنت..

عضو اليسار : دعي هذا المحاميك

جميلة : قضاة شهيدتكم جان دارك

كانوا قد عرفوا أنهم سيدينون القديسه

مع ذلك ، لم يجسر أحد منهم أن يرفض ما طلبت

لكنكم تأبون علي حضور محام أرضاه

أنتم تأبون علي نقاش وقائع تعذيبى

وكلكم يعرف كم كان مذلاً وحقيراً بشعا

ولهذا ، فأنا أرفضكم..

ضابط مظلي : (محتدًا) فليُغْلَقْ فمها بالقوة

جميلة : لن تُغْلَقَ آذانُ العالم

أنا أحتج وأرفضكم وأسجل أن محاكمتي

ليست بعد بقانونيه

فالجلسة ليست علنيه..

عضو اليسار : الجلسة ليست سرية.. والأبواب مفتحة

المحامي : شكرًا.. شكرًا

جميلة : لم يدخل غير الضباط..

ضباط كلهم اشتركوا في تعذيبي يا سادة

ووجوه أخرى كاسرة قد جاءت تنتظر الجيفه

(صخب)

الرئيس : أريد محامي المتهم أن يطلب شيئًا؟

المحامي : لا لا.. عفواً

عضو اليسار : أتريد شهوداً للنفي

المحامي : لا... لا... شكرًا

جميلة : شكرًا.. عفواً.. عفواً.. شكرًا..

من أين أتيت بقلبك هذا حتى تسلك هذا المسلك؟

من أين أتيت بتلك القدرة في أن ترسم؟

فوق شفاهك تلك البسمة.. يا متبسم!

الرئيس : الواجب أن نَمَتِّي منه ؛ فليس سواه من يقبل أن يترافع عن

مثلك

(يندفع من الباب رجل في نحو الستين جليل مهيب هو
الأستاذ فيرجيه)

- فيرجيه : بل سيدافع عنها كل شريف في العالم
وكل محب للعدل..
- ممثل النيابة : (باستنكار) من أنت ؟
فيرجيه : أظنك تعرفني حقاً !
- فيرجيه : في يوم ما من عشر سنين كنت زميلاً لي في المكتب
أعني : تلميذي بالضبط.. محام تحت التمرين
- ممثل النيابة : (مقاطعاً) أنا أحتج.. ولا أسمع
عضو اليسار : أستاذ فيرجيه نحن جميعاً نعرف قدرك
فيرجيه : (يقدم أوراقه في تواضع) لوي فيرجيه
محام أقبل من باريس بتوكيل من أمبيلار
- عضو اليسار : أمبيلار محاميها
عضو اليمين : (منزعجاً) أمبيلار محاميها ؟
فيرجيه : منعت السلطات حين نزل
- الرئيس : (يقاطعه) لا يعني هذا الأمر هنا محكمة لا شرطة
فيرجيه : (يكمل) وأعيد إلى باريس بنفس الطائره
عضو اليمين : اذهب فاحتج على السلطة
- (همهمة في المحكمة منذ دخل فيرجيه)
(والهمهمة تنفجر الآن)

- الشـغـب : من هذا الأشيـب؟ مأجور! ماذا يعني المأجور؟
- ليقطع رأس محاميها ليقطع رأس الاثنين
- فيرجـيـه : (للرئيس مشيراً إلى الهاتفين) كم تكـب سمعنا
- لو تفلت من أيدي السادة رؤوس ليست ملكهم
- الرئيس : (يرد له أوراقه) هذا توكيل لا ينفع
- فتفضل أنت إلى الخارج
- شـغـب : لتعد إلى فرنسا يا مجرم فليقطع رأس المأجور
- فيرجـيـه : أتراني أخطأت العنوان؟ أهنا المحكمة العليا حقاً؟
- أم مؤتمر للقتله!؟
- ممثل النيابة : اسمع يا مـيـتر توكيلك ليس بمعتمد فلماذا تبقى في القاعة؟
- فيرجـيـه : فلنسال صاحبة المصلحة فقد لا ترفض توكيلي
- عضو الـيـار : فلنسألها
- (عزام الآن يواجه جميلة وينظر إليها نظرة خاصة)
- فيرجـيـه : (يتقدم لجميلة)
- فلنسألها إن كانت تقبلني عنها أعطوها الفرصة للتفكير
- فقد تتصور أنني أيضاً لست سوى أحد الأعداء..
- (بسخرية) ولها العذر إذا اعتبرتي
- لست سوى أحد الأعداء.. ألسـت فرنسـياً مثلكم
- جمـيـلة : بل أنا أقبل ما تعرضه وأحييك

(صخب)

- الرئيس : وبعد.. فكيف تسمي جلستا مؤتمراً للسفاحين؟
فيرجيه : اسمح لي.. لمَ نخلق جواً يمنعنا من أن نتفاهم؟
الرئيس : أتهين المحكمة؟.. اسحبها.. كي أسمع لك أن تتكلم
فيرجيه : أذكر قصة لافونتين سيذكرك بها طفلك
عن ذئب الغابة والحمل

- عضو اليسار : ماذا تعني؟
فيرجيه : أعني يا سادة أن الحق لم يصبح ملكاً للأقوى
عضو اليمين : لن نسمح لك أن تترافع
فيرجيه : أنا لست بمنتدب منكم ليكون لكم حق العزل
المحامي : (المنتدب يهب غاضباً) من فضلك يا أستاذ...

تحفظ لا تهين المنتدبين

(فيرجيه ينظر إليه مستغرباً وهو يراه يتسم للمحكمة وللجمهور)

- فيرجيه : ولماذا يتسم الأستاذ؟
المحامي : ما شأنك أنت.. أنتحسب نفسك دون كيشوت؟
فيرجيه : أتعرف معنى دون كيشوت؟
عضو اليمين : أنت توجه منذ أتيت إهانات لرئيس الجلسة
فيرجيه : ليحرك ضدي دعواه
أما أن أمنع من حقي فهذا خلط لا نرضاه

بين الواجب والحق

- هــتافات : ليقطع رأس محاميها.. ليقطع رأس المأجور!
- فيرجـيه : (للجمهور) فرنسا لم تجسر يوماً أن تصفـعكم بحقيقتكم
- أنتم وصمتنا
- (الشغب يستمر)
- الرئيس : وجه قولك للمحكمة... ولتحدث في الموضوع
- فيرجـيه : أطمع في التأجيل لأسبوع
- المحامي الآخر : ولماذا هذا التأجيل؟
- الرئيس : رفضنا طلب التأجيل
- فيرجـيه : هل لي أن أطلب أن أنفرد قليلاً بالمتهمه؟
- الرئيس : لا
- فيرجـيه : لا؟... ولماذا؟
- الرئيس : أجئت لتفرض رأيك؟ لا
- فيرجـيه : لم يحدث في تاريخ محاكمنا أن
- الرئيس : (مقاطعاً) لا تتحدث عن تاريخ..
- عضو اليمين : ألدك الآن كلام آخر أم أنت أتيت من المريخ؟
- فيرجـيه : وإذا، فلا بد أن أسجل أن المتهمه محرومة
- من كل ضمان قانوني
- الرئيس : (مقاطعاً بعنف) يا أستاذ
- جميلة : وفر جهدك يا أستاذ فإن غداً عيد الحرية

- فيرجسيه : (يقاطعها) يا بنتي لوذي بالصمت
- جميلة : (مستمرة) فليمزج نخب العيد غداً بدماء فتاة عريية
(صخب شديد يطفى على صوتها)
- الرئيس : إياك أن تكلمي
- جميلة : هل تملكون سوى دمي؟
- رجل : أما لساني فهو ملكي ، طالما هو في فمي
- امرأة : (بغيط) فلتقطعوا هذا اللسان
- جميلة : (تواجهها) لتعذمي
- جميلة : يا سيدي الأستاذ..
- اسمع ما أردت سماعه مني ونحن على انفراد
ما نحن إلا في اجتماع للصوص كما اكتشف
دعني أقل لك إنهم قبضوا عليّ وكاهلي متمزق برصاصتين
وحملت من فوري لستفى بعيد لست أذكر بعد أين
وهناك ظل دمي يسيل - وكان أميل للسواد
- امرأة : لم لم تقولي للمحامي الشيخ عن لون القميص؟
أكان أسود
- (ضحك)
- امرأة أخرى : قلبي عن "الكيلوت" أيضاً!
- عضو اليسار : (ثائراً) لا ، إن هذا لا يليق
(عضو اليسار يهمس للرئيس ويظل يهمس)

جميلة : (تستمر) وفجأة جاء المظليون أرتالاً كغاشية الجراد
ماذا أقول؟..

(ثم متفجرة) نزعوا جميع ملابسني وتحسوا جسدي
بأسلوب قذر
ودمي يسيل..

فدفعتهم بيدي السليمة ، فاثنتوا بتضحكون
وهددوني قائلين ستهتكين وتهتكين
إن لم تقولي أين جاسر
(تضطرب جداً ويفزرو الخجل صوتها)
عشر من السنغال

من خصصوا في الاعتداء على النساء المسلمات
سيقبلون من بعدنا نحن الفرنسيين ، ثم يواصلون
إن لم تقولي أين جاسر
أنا لست أعرف كيف أكمل ما أقول..

امـــــرأة : فلتخجلي من ذكر هذا يا صغيرة!
فيرجـــــيه : (ساخرًا بمرارة شديدة) راعي حياء الأخريات الفاضلات
راعي شعور نساتنا... إل.. متحضرات

جميلة : (تستمر) وظللت أدفعهم وأبصق في وجوههم الحقيرة
ودمي يسيل

وأنا هنالك عاريه وظللت أضرب عاريه ودمي يسيل
وأنا أدافعهم ، وهم يتدافعون علي كالتنين في غيظ مخيف
ودمي يسيل وشدّدتُ عاريّة إلى آلات تعذيب رهيبه

- امــــــرأة : (ثائرة) لكنني لا أحتمل..
 إن كان هذا كله حقاً.. فكيف نعيش في عصر كهذا
 ثم نسكت.. (تخرج المرأة في حالة انزعاج)
 فيرجــــه : (يستدير إلى الجمهور) لكنه زمن العذاب عصر الجنون
 وسيادة المتحضرين
 (ثم الجميلة) فلتستمرري يا ابنتي
 (ينفجر الصخب وبعض الرجال والضباط يقومون
 ويلوحون في وجه المحكمة مهددين)
 مســــتوطنون : قد شوهتنا كلنا تلك الحقيرة؟
 وضــــباط : لِمَ تسمحون لها بهذا الفحش؟
 قد جرکم هذا المحامي الشيخ من أعناقكم
 فيرجــــه : (لهم) يا أيها المتحضرون
 أأثاركم هذا الحديث عن البشاعات الزرية
 أتراكمو تتبرأون من المآسي البربرية
 لكنها من غرس أيديكم هنا.. الأيدي.. النقية!
 الرئــــيس : (لفيرجييه) ما الذي تطلب.. اطلب باختصار
 فيرجــــه : شاهداً من سجن يرباروسه..
 شاهد التعذيب في السجن
 الرئــــيس : وما اسمه
 فيرجــــه : اسمه ألفونس جان أترى أطمع في استدعائه
 وطيب السجن أيضاً

الرئيس : الأطباء لهم أسرارهم

عضو اليمين : إنما القانون يحمي سرهم مثلما تعرف!..

فيرجسيه : (همساً) حقاً؟.. كل شيء هاهنا ضل طريقه

هاهنا يرتكب الظلم جهاراً تحت ميزان العدالة

المحامى : ما الذي يقصد من تعريضه هذا الرجل؟

فيرجسيه : أنت قد شرفنتي إذ لم تقل : هذا الزميل

الرئيس : ما الذي تقصد مما قلته الساعة همساً؟

فيرجسيه : إنه صوت فرنسى شريف

جميلة : فليجلجل

فيرجسيه : فعسى لا تبصق الدنيا على ذكر فرنسا

الرئيس : أنت إن عدت إلى أسلوبك اللفظ العنيف

فيرجسيه : (يقاطعه ساخراً) سيدي القاضي اللطيف التنظيف

لا تدع أطفالنا إن سمعوا ذات يوم بالذي يحدث منكم

ينجلون

أصوات مختلفة : اطروده... اطروده... اقتلوه... اقتلوه... اقتلوه

(عضو اليسار يهمس للرئيس بحدة كأنما يلومه)

فيرجسيه : (للجمهور الثائر والمحكمة)

إنكم لا تعرفون! إن كل الأمهات

في بقاع الأرض ينظرن إلينا جزعات خائفات

وعيون العالم الساخط تلقي فوقنا نظرات كالشرر

فاذكروا هذا...

(صخب)

عضو اليمين : (يقاطعه) كفى هذي، إهانه

كيف أفلت وأقبلت إلينا؟

فيرجسيه : كيف أفلت وأقبلت إليكم؟

لا تقل هذا، فهذا ضدكم

عضو اليمين : نحن لن نسمع لك

فيرجسيه : ولذا، فأنا مازلت أرجو أن تجيئوا بطبيب السجن كي

عضو اليمين : (مقاطعة) أنت لا تملّي علينا

إنه شخص ما فيها بأثار درن!

جميلة : المتافق!

فيرجسيه : إنني أرجوكم أن تطلبوه

الرئيس : نحن قلنا لك : لا

فيرجسيه : أي قانون هنا يحمي طبيب السجن منا؟

لم لا يأتي إلينا؟

ما الذي يجعل تقرير طبيب السجن شيئاً لا يناقش؟..

وهو كاذب!

عضو اليسار : لا تبالغ..

إن في وسعك أن تحضر تقريراً يجافي ما يقوله..

فيرجسيه : هو ذا ما أطلبه

عضو اليسار : اطلب الآن طبيياً استشارياً

عضو اليمين : كيف؟ لا وقت لدينا..

فيرجسيه : إن عندي الآن تقريراً يحاكي ما لديكم

(يقدم إليهم تقريراً فيتناوله الرئيس ويفحصه غاضباً ثم يسلمه

لعضو اليسار بضيق.. ويتناوبون قراءته في قلق وضيق)

هو من خير أطباء الحكومة إنه يكشف عن تعذيبها

عضو اليمين : (محتداً) كيف؟!!

فيرجسيه : (يقاطعه ساخراً) لا!.. الأطباء لهم أسرارهم

الرئيس : قل لنا كيف انتهى هذا إليك؟

فيرجسيه : (ساخراً) إنه يا سيدي... هو سر المهنة!

ممثل النيابة : اطلبوا هذا الرجل

فيرجسيه : اطلبوا هذا الطبيب الحر كي تستوضحوه

عضو اليسار : سوف نستدعيه لك

عضو اليمين : لا تضيع وقتنا بعد... أنفهم؟ لا تضيع وقتنا

فيرجسيه : ما الذي يصنعه القاضي بوقته غير تحقيق العدالة

إنما وقتكم ملك لنا

عضو اليمين : إنه ما من طبيب عالج الثوار إلا وسجن

فلماذا لا يجازون المحامين عن الثوار أيضاً

فيرجسيه : وإذا فهو ذا تقديركم لقداسات الدفاع

إنما تنتحر الأمة حقاً

عندما تبطش السلطة حتى يصل الأمر لتهديد الدفاع

المحامى : (متعلقاً) نحن بالعكس شعرنا دائماً باحترام للدفاع..

الرئيس : (لفيرجيه) فلتناقش شاهدي الإثبات إن كنت تريد

فيرجيه : إنما القانون فيما أعرفه

يوجب البدء بتحقيق الذي جاء عن التعذيب فوراً

الرئيس : (مقاطعاً) فلتنادوا شاهدي الإثبات

فيرجيه : سيدي

عضو اليمين : حسبتا الشاهدة الأولى فلا وقت لدينا

فيرجيه : هكذا

الرئيس : ناد هذا

(يخرج بعض الحرس من باب القاعة الرئيسي)

فيرجيه : غير أنني

عضو اليسار : إنما أقوالها في المحضر الموجود عندك

فيرجيه : ولماذا ينبغي أن نتعامل بـتَحَدٍّ متبادل

الرئيس : أنت لا تلقي هنا درساً علينا في التعامل

(تدخل هند شبه مخدرة وتقف على باب القاعة تحس

ذراعها.. وفخذها.. والحراس يدفعونها)

هند : (في المدخل) كل جُلدي الآن مُوجَّع

لم يعد فيه مكان للإبر
فلتدعني كي أنام قد أخذت الآن حقنة
(الجندي يدفعها من المدخل فتدخل وتمشي في حذر وخوف
إلى المنصة)

هــــــند : الوحدة تستأنس بيتًا هجرته الحكمة من زمن
والأشباح تعود الآن.. تعود.. تعود على وهن
أشباح زمان كان القلب فيه يحلم بالمستقبل المستقبل!
المستقبل!

والمستقبل في كهف يعوي فيه الذئب الأسود
أعرف أن الزمن الأسود حل بيتي تهجره الحكمة!
امــــــرأة : أنا خائفة منها

الرئيس : (لهند) أنت.. هل عذبت.. قولي..
(هند لا تجيب وتشاءب)

الرئيس : (ثائرًا) فلتجبي..

هــــــند : (بضعف شديد) إنني أعطيت حقنة حقنة الأفيون
ممثـل النـيابة : (محتدًا) إن ما في محضر التحقيق لم يمل عليك أو يحور
كل أقوالك فيه لم تكن تحت تهديد ولا ضغط ولا أي

مؤثر

(هند لا ترد، فيأتي ضابط من المظليين فيمسك بهند ويشدها
إلى المنصة فتضطرب ويزداد فزعها وتراجع إلى الوراء)

فيرجــــيه : ما الذي يعنيه هذا؟ فلتدعها

الضابط : (لفرجيه متحدثاً) أنت لا تأمرني أنت أفنهم؟

هـند : (تستدير وتجعل يدها كمدفع) تك... تك... تك...

امـرأة : أخرجوني.. إنها شيء مخيف يشع لا يحتمل!

الرئيس : (لهند) انطقي.. من أنت... هل أصبحت عجماء؟

هـند : أنا...؟ (فجأة تبكي وتصرخ) لست إلا عاهره

ممثل النيابة : فلتخرجوها.. هذه المجنونة

ضابط من المظليين : (ضاحكاً) المجنونة الحسنة

الرئيس : يكفي الذي قالته في التحقيق ، فاقراً محضر التحقيق

كيف نشاء

(يشير بيده إلى ضابط فيشدها إلى الخلف.. وهي تنفض وقد

ارتفع صوتها بنوع من التشنج وهي تنظر إلى جميلة ، دائماً..

الضابط يشدها ولكنها تثبت بمكانها)

هـند : لا... إن صاحبتى جميلة طاهرة هي بائسه

هي لم تكن تدري بشيء

لم يقدروا أبداً على إيذائها في عرضها

ليست يجيئه تتساقط الغربان فوق حطامها

الله أكبر! هذا النداء الحر يقبل من بعيد

يتساق الجدران في زحف مظفر

الله أكبر!! هذا النداء الحر يدفع موكب الفجر الجديد

ليضيء أعماقي التي غشى الظلام كهوفها

(ضابط آخر يزحزحها الآن من مكانها)

الله أكبر! إني لأقسم أن صاحبتني جميلة...

وارحمتا لك يا جميله لم تقتلي أحداً ولكن عذوبك

وكنمت حبك في الضلوع فشوّهُوكِ لكنهم لن يقهروك

(تستدير لهم بحركة من يدها تقلد بها حركة المدفع الرشاش)

تك... تك... تك...

هذا سيحققكم جميعاً

(مازال يدفعها الحراس بقوة وهي تصرخ)

يا أيها الفرسان من كل الجبال تقدموا، وتقدموا

يا أيها الشجعان في جوف الليالي السود لا تستسلموا

وتقدموا... وتقدموا

بشذى جزائرننا الجديدة.. بالنضارة.. بالربيع

لتبددوا سحب الدموع وتمحوا كل الدموع

(تبكي، ويسمع رجع بكائها من البهو الخارجي)

مثل النياية : لا تأبهوا بصراخها الملتاث، فهي ممثلة

فيرجـيـه : (بتأثر) لكنها مجنونة حقاً

الرئيس : أجل مجنونة، وممثله

فيرجـيـه : مع كل ذلك، فهي عندك عاقله

لمدى يؤهل رأسها للمقصله

الرئيس : لنعد إلى الموضوع.. لسنا الآن نبحث رأسها..

فيرجـيـه : يا سيدي مهلاً.. أليس كلامها

هو كل ما عند النيابة من أدله

ويعتضى هذيانها هذا تطالبكم برأس جميلة..

أنا لا أصدق

لم لا تعالج هذه المكيّة الحيرى؟!

لماذا لم يحقق مع من رمى المكيّة الحسناء في هذا الخضم

عضو اليمين : ماذا يهملك أنت من هذا.. أجئت لتتهم؟

المحامي : لم لا تدافع أنت عنها يا أخي ، وأنا أدافع عن جميلة

فيرجيه : يا سيدي.. لا تبسم!

عضو اليمين : لم يبق إلا شاهدو النفي

(عضو اليسار مازال يهمس)

عضو اليمين : هم لم يثبتوا بعد فلنتفن عنهم

عضو اليسار : (بصوت مرتفع) لا

فيرجيه : (متأملاً) بديع

الرئيس : (مقاطعاً) الآن نعلن الاستراحة ستتيح لك

ما شئت من فرص لتدرس محضر التحقيق

فادرس كيف شئت

حتى يوافقنا الشهود

فيرجيه : أشكرك

(الكاتب يسلم فيرجيه محضر التحقيق)

(ينهض أعضاء المحكمة ويدخلون من الباب الذي يقع خلف

المنصة)

جميلة : (لنفسها) ماذا عسى يخفي التظاهر بالسماحة؟

عزام : (يعلن الناس) خلال فترة الاستراحة

سيعاود البوليس تفتيش المكان

من أجل تأمين الحضور ، ففضلوا في الردهة الكبرى

(يبدأ الناس في الخروج.. ويتنظر فيرجيه قليلاً ثم يشق طريقه
بينهم في الزحام.. بينما يفتح الباب الذي في قفص جميلة
ويأخذها الحراس إلى الداخل ويغلقون الباب.. القاعة تخلو
شيئاً فشيئاً والناس يتحدثون وهم خارجون.. الحديث يدور في
أماكن متفرقة)

امـــــرأة : ليتنا كنا سهرنا في الكلوب

ضـــــابط : كان أفضل

مستوطن : أنا أيضاً متعب الأعصاب من هذا المحامي

امـــــرأة : أنا لا يعجبني عضو اليسار

رجـــــل : (لفيرجييه وهو يمر) خائن.. أصفر..

ضـــــابط : (لفيرجييه) أنت معدوم الضمير..

رجـــــل : (يمسك بفرجييه متحرشاً) أنا لا يعجبني شكلك يا أنت

رجل آخر : (يخرج مسدسه) قل لنا أين تنام الليل.. قل..

في أي فندق

أنت لن تنجو من هذا المسدس!

(امرأة على المدخل تمسك بفرجييه متحدية)

امـــــرأة : قل لنا بالحق.. كم يدفع ناصر

(ضحك)

(فيرجيه يتملص منها وينحني أمامها بأدب)

فيرجيه : أنا لا أفهم هذا.. أنت أدري بثئون الدفع يا سيدتي

(فيرجيه يخرج الآن)

"عزام يدفع برفق إلى الخارج من بقي في القاعة"

"يخرج الجميع ويبقى جاسر وحده بملايس"

"ضابط في اللفيف الأجنبي"

مستوطن : (جاسر) ما الذي يبيك أنت؟

(يخرج المستوطن وهو ينظر إلى جاسر برية)

عزام : (جاسر) انتظرنى هاهنا.. لا تتحرك

(يذهب ليحكم إغلاق باب القاعة)

جاسر : أين تمضي أنت؟

عزام : الآن... ستدرك

جاسر : إنهم سوف يذبحونها لا محالة!

(عزام يذهب الآن إلى قفص الاتهام ليدخل من الباب الذي في

القفص وهو الباب الخاص بجميلة)

عزام : هاهنا يذبحون حتى العدالة

(يدخل عزام ويبقى جاسر وحده وسط انفعالاته)

جاسر : إن يوماً تموت فيه ، ليومٌ مستباحٌ لن تشرق الشمس

بعدة

وهو يوم تموج فيه الليالي كالثكالى ، ويفقد الكون رشده

أي عصر هذا الذي يهدر الإنسان فيه ويلقى إلى
الكواسر وحده

إيه يا قلب قد حلمنا طويلاً يزمان نعيش فيه هواناً
وصباناً

وكتمنا الذي نعاني من الوجد، وعشنا في حلمنا وجواناً
أي حلم مهوَّش عربد الآن أمامي كراقصات الجحيم؟
أربدت حولي الحياة وشلت فوق دوامة الجنون العظيم
(يتلوى في زمة)

الزهور السوداء، والموكب الساخر، والقرود
والسلاحف الضاحكات

ونهود تهتز فوق خصور طوقتها أظافر مشرعات
وجبال تمور فوق بحار من دخان تلفه ظلمات
وانقضاض السماء بالحواميم والنار والهول والمعادن المصهورة
والثعابين يتطلقن من الأغوار يرقصن رقصة مذعورة
والرياح الصماء تُغول في البعد وفي القلب ضجة وعواء
وضلوع ممزقات يسيل الفجر منها، ولا تسيل الدماء
وهزيم المأساة يزحف كالطوفان في هدأة الدجى المترامي
أليل الليل، غير أن شعاع الفجر مازال يُرنجى في الظلام

(يرتمي منهكاً على مقعد ورأسه في يديه بينما يدخل عزام
يسند جميلة من الباب الذي في قفص الاتهام)

(عزام يقلق الباب بإحكام، جاسر يشعر بحركة دخول عزام
فينتفض واقفاً ويتماسك)

عزام : يا صديقي

جاسر : (مندفعاً إلى جميلة) وأخيراً هانا ألقاك

جميلة : من أنت؟

جاسر : أنا؟

جميلة : يا إلهي!! أنت جاسر!

كيف هذا؟ كيف أقبلت إلينا هاهنا

عزام : أسأليه كيف غامر؟!

جميلة : (في اضطراب ملحوظ) يا صديقي.. أيها القائد.. يا..

جاسر : (لعزام) لا تقل هذا

جميلة : أجل لم تعد ترعى أمانك

عزام : ذلك المستوطن الأحمق لما شاهدك

لاح في نظرتة شك مخيف

جاسر : (لجميلة) أنت يا أخت هنا أروع من كل الأساطير

جميلة : أنا؟

جاسر : هل تخافين من الموت؟

جميلة : لكم كنت أخافه ! غير أنني الآن لا أملك إلا الابتسام

وعزائي أنكم لا تضعفون بل تُعدُّون ليوم الانتقام

وستحيا أنت من أجلي.. من أجل الجزائر

إنهم لن يعرفوا أين تكون

أنتم راضون عني لم تزالوا.. فاغفروا سقطه هند..

أنت تعرف أنها جئت من التعذيب

جاسر : أعرف

جميلة : يا صديقي كدت أنسى..

أتراهم عرفوا خطة تهريب السلاح

عزام : لا..

جاسر : (لجميلة) لمَ جازفتِ بنفسك؟

جميلة : لا تلعني الآن، لو كنت تهاونتُ قليلاً

لوقعت بالذي تحمله من خطط! لم يزل عزام حراً

لم يزل عمار حراً لم يزل جاسر حراً ليقود المعركة!

(لعزام) كيف حال الطالبات..

من ترى منهن قد حل مكاني..

عزام : (بأسى) منى! إنها تحمل مسئوليتك..

كل مسئوليتك!

ولقد أوشك فجر النصر أن يشرق يا أخت..

جاسر : (لجميلة بحزن) ولكن أين أنت؟!

عزام : (كأنما يغير الموضوع) نحن حاصرناهم الآن وهم في

موقف ضنك شديد!

(جاسر يكتم انفعالاته بصعوبة فينحني أمام القفص واجماً)

جميلة : (لجاسر) إننا لا ننحني يا قائد الطيب حتى للعواصف

أنت أيضاً يا أخي لا تنحني إنه العار إذا نحن انحنينا

عندما أسقط يا جاسر لا تركع على قبري

جاسر : لا تقوليها.. اسكتي.. يا جميلة

عزام : (يحاول أن يمزح) أنتما الآن وحيدان

ولسنا بعد في التنظيم نعمل

فليح كل بما في قلبه.. انطق.. ما دهاك

جميلة : لم يزل صاحبنا عزام يضحك !

عزام : بح لها بالهوى المخنوق في أعماق صمتك

جميلة : في ابتساماتك يا عزام طعم الدمع ..

عزام : يوحى بهواك ..

جميلة : إن ما في القلب يا عزام ليس الحب ، بل شيء

جليل ليس يوصف

إنه أقوى من الحب ، من الموت ، وأقوى من حياتي

نفسها

لو كنت تعرف !

عزام : إنه نوع من الحب خطيرا !

(أخيراً لا يفلح في انتزاع الضحك فيستدير كأنه يداري دموعه)

يا إلهي ما الذي يجعلنا نحن في قبضة مأساة كهذه !

جاسر : لم لا يقوى على إنقاذها شيء ؟

لماذا لم تعد تقوى على إنقاذها كل الجهود ؟

لم لا تُنتزعُ الطفلة من أظفارهم

جميلة : أتراني طفلة ما زلت .. جاسر

في غد .. عندما يرتفع الزيتون في خضرته

عندما ترتفع الراية في أرض الجزائر

عندما تنتصر الثورة .. فابكوني ، وقولوا : لم تمت

عزام : سنقول : انتصرت !

جاسر : قسماً ، إن غالك السفاح فالعصر زري وحفيري

وهزيل مستباح العرض مثلوم الضمير
لا وعينيك ، وفي عينيك أحلام نبيله

لا.. وآلام البطولة

لن تموتي يا جميله لن تموتي يا جميله
(جرس من الداخل.. عزام يتجه إلى باب القاعة)

عزّام : أسرع.. لا وقت حتى للوداع

جميلة : عجباً.. لا وقت حتى للوداع؟

عزّام : (يدفع جاسر) أسرع الآن

جاسر : (يحزن هائل) الوداع

(يتعد ليخرج من باب القاعة)

جميلة : يا إلهي! هكذا؟ حتى الوداع؟

عزّام : أسرع.. إنهم آتون خذ سيارتي.. إنها مفتوحة
خذها وأسرع

(عزّام يفتح باب القاعة الآن.. وقد بدأ الناس يدخلون.. جاسر يخرج.. والمستوطن الذي كان قد لمح جاسر وهو يتخلف في القاعة قد أقبل الآن وهو ينظر إليه مرة أخرى.. ثم يخرج وراءه ومعه أحد الضباط والناس يأخذون أماكنهم في القاعة)

صوت : محكمة..

(يدخل فيرجيه.. ثم تدخل هيئة المحكمة)

الرئيس : (لفيرجيه) لماذا تطلب يا أستاذ

شهوداً ليسوا موجودين وتعطلنا؟

فيرجسيه : كيف؟

الرئيس : الشاهد جان انتحر

جميلة : المسكين ! لقد قتلوه إذا !

الرئيس : وصديقك صاحب هذا التقرير

فيرجسيه : أمات كذلك متحرراً؟

عضو اليسار : بل بالسكته

فيرجسيه : لماذا يتحرون جميعاً أو تدهمهم تلك السكته !

ما معنى هذا يا سادة

ألا نستدعي أحداً بعد هنا كي يدلي بشهادته

فيقتل إما متحرراً ، أو بالسكته !

عضو اليسار : (بعصية) مهما يكن الأمر ، فلا داعي لنقاش آخر

فالتقرير المزعوم يهدره تزوير ظاهر فلتلق دفاعك

جميلة : (تبسم ساخرة لعضو اليسار) كنت أخالك أنت

أقلهم عطشاً للدمي

عضو اليسار : لا تبسمي ! لسنا في مأدبة عشاء

جميلة : بل مأدبة للديدان إذ يقتات الدود الآن

بأروع شيء في الإنسان

فيرجسيه : دعوها تسخر مما تلقى

الرئيس : لا تضع الوقت هباء ، إن لدي هنا اعترافاً منها

جميلة : (منفجرة) هذا كذب. المحكمة العليا تكذب

فيرجسيه : لو أن لديكم تلك الورقة ما وجدت إلا في المحضر..

هذا شيء لا يتصور أنا أطمعن فيها بالتزوير

جميلة : لقد زيفتم في اسمي.. وأنا في سجنني أتعذب

فلئن زيفتم أقوالي أو توقيعني.. هل أستغرب!

عضو اليسار : (يعطي الكاتب ورقة) اقرأ هذا

السكرتير : (يقرأ) أنا أعترف..

جميلة : (منفجرة) لا

عضو اليسار : (للكتاب) اقرأ...

فيرجسيه : (معتزاً) نحن طعنا بالتزوير

وعليكم تحقيق الطعن

وعلينا أن نعرف من هو هذا الكابوس الخائف

من قتل شهود النفي ومن يعيث بحقوق الإنسان؟!

عضو اليمين : المتهمة معترفة فلتسكت أنت

الرئيس : ألق دفاعك يا أستاذ أو اذهب ، قد ضيعت الوقت

فيرجسيه : إن كنتم قد قررتم أن يهدر كل ضمان

لتنالوا رأس جميله...

عضو اليسار : (يقاطعه بحدة) فلتكت أنت الآن

(ثم لمحاميها الآخر) تفضل يا أستاذ..

فيرجسيه : لكنكم بسلوككم هذا تهينون الحضارة والعدالة والحياه

وستغرسون مرارة أبدية في كل قلب

وتؤلبون تجاهنا أطفال أفريقيا وآسيا، والعربُ

ماذا تراهـم يذكرون

عنا إذا كبروا غداً.. ماذا تراهـم يذكرون؟

أنتم بهذا تغلقون

فرص التسامح في قلوب شبابهم وشبابنا، وتلطخون جبيننا

وتشوهون تراثنا

أصوات : فلتقتلوه.. لتقتلوا هذا العميل

فيرجسيه : لا تمزجوا بدم الضحايا ذكريات الناس عنا

لا تنشؤا أظفاركم في قلب طالبة صغيره

ألأنها عملت لكي تحيا كما حلمت ، ستقتل؟

ألأنها ترسي التقاليد العريقة في النضال الحر ، تقتل؟

ألأنها رفضت مظالمكم ، ستقتل؟

الرئيس : (ثائراً للضباط) فلتكثوه.. فلتخرجوه الآن رغماً عنه

(يحيط به بعض الضباط ويحبرونه بقسوة)

فيرجسيه : فلتحترم شيخوختي لسنا هنا في غابه

ضابط : اخرج وإلا سرت مشدوداً إلى ذيل الحصان

فيرجسيه : في أي عصر أتم؟ هل أنتم أبناء هذا العصر حقاً؟

أنا سوف أوقف في فرنسا من له قلب شريف

ليرى الجريمة...

أصوات : (نقاطعه بحدة) فلتمت

فيرجسيه : ولكي يرى الشعب الفرنسي المصل

كم من خطايا باسمه ارتكبت

صخب شديد : ليقتل

فأقتلوها..

(يخرج وراءه ضابطان.. بينما القضاة يتشاورون والناس
يتهايمسون في القاعة.. وجميلة تنظر وتبتسم)

الرئيس : هذا محاميك اللعين قد انسحب ولديك آخر؟

عضو اليسار : ليقم محاميك الأصيل

جميلة : (ساخرة) قل العميل

يا سادتي لا ترهقونا بالأباطيل الخيفة.. والمهازل

فلقد حكمتكم منذ حين

الرئيس : هو ذا.. سنحكم

عضو اليسار : أنت طبعاً تعرفين

جميلة : هل تملكون سوى دمي

المحامي : أولاً نقول الكلمتين

عضو اليمين : قل

جميلة : (لمحاميها ساخرة) لا... يا غراب البين

(ثم للمحكمة) يا قوم لا داعي للاستمرار في تمثيل

تلك المهزلة

إنني لأعرف أنه الإعدام تحت المفضلة

لكنكم لن تقتلوا إلا فتاة

ستلطخون بلادكم بدمائها أهد الحياة
أما الجزائر فهي تمضي في الطريق لتتصر
وستتصر سظل نقحم الخطر وستتصر
وسيشرق الفجر الجديد من الدم

الرئيس : أنا قلت لا تتكلمي

جميلة : هل تملكون سوى دمي فلتأخذوه... لشربوه

الرئيس : الحكم بالإعدام رمياً بالرصاص

أصوات : تحيا العدالة.. تحيا القصاص

جميلة : (رافعة رأسها) تحيا الجزائر

أصوات : لتت سرعاً.. تحيا العدالة

(أعضاء المحكمة يتهايمون)

جميلة : سأظل أحلم بانثاق الفجر من جوف الظلام

سأظل أحلم بالسلام

سأظل أحلم بالنسيم العذب في جوف الرياح العاتيات

سأظل أحلم بازدهار الكرم في ودياننا المتراميات

سأظل أحلم بانتصار الجيش ، بالتحريض بالزمن السعيد

إنني أرى فجر الزمان الحلو يقبل من بعيد

سأظل أحلم بالصحاب وبجاسر المرجو يقبل في الركاب

الآن.. هل سقط الحجاب

وأنا أمام الموت هل برح الخفاء؟

سأظل أحلم بانتصارات تثير الكبرياء

بسعادة القلب الذي حرم السعادة طول عمره
وسيحمل القلب المعذب حين يسكت كل سره
وأنا أغني للبيالي الباسمه

وأظل أنشد للحياة القادمة

الرئيس : (متهينًا للوقوف) لن تعلن الأسباب إلا بعد غد..

جميلة : (ساخرة) لم تعلن الأسباب في حكم كهذا؟

إنما هي واضحة

لم لا يديجها المحامي؟

(للمحامي ضاحكة) إني وجدت وظيفة لك مربحة

المحامي : هل تضحكين؟

الرئيس : أولى بمثلك أن تولول باكيه

جميلة : (ساخرة أيضًا) أحكم علي بأن أولول باكيه

الرئيس : لا تضحكي فالأمر جد

جميلة : (تضحك) يا سيدي.. فلتحترس

قد مال ميزان العدالة وهو يهوي فوق رأسك

(تدوي رصاصة فإذا الرئيس يضطرب وينظر إلى الخلف كأنما

ليأكد من ثبات الميزان وجميلة تضحك بينما تدوي طلقات

رصاص في خارج القاعة ويسود الهرج ويبدو في البهو زحام

شديد ويضطرب القضاة ويدخلون ويجري بعض الناس

ويدخلون وراءهم)

عزام : (بلهجة أمرة) لا تخرجوا فلتقعوا.. كل مكانه

إني أنا المسئول عن أمن الجميع..

جميلة : هذا هو الصوت الجسور العذب يقتحم الخطر

يتسلق الجدران بالأمل العظيم المنتظر

(يخرج عزام من الباب مندفعاً بينما يقعد الباقون في القاعة في رعب وترقب)

أصوات من الخارج : الذئب جاسر لا ترهبوه لقد وقع..

- أنا صاحب المليون وحدي

- بل لي أنا نصف المكافأة العظيمة..

إنني أرشدت عنه

(زحام من الضباط والمستوطنين يدفعون جاسر بوحشية إلى داخل القاعة وعزام يحاول إبعادهم عنه.. ويدخل جاسر ممزقاً محاصراً والجراح في كتفه)

امــــرأة : (لجميلة) فلتضحكي أيضاً.. فهذا هو عاشقك

فتمتعا بالحب تحت المقلصه

مســــتوطن : هذا ختام رائع للمهزله

عــــزام : (يدفع الناس) فلتخرجوا.. ودعوه لي.. فلتخرجوا

(جميلة تندفع من مكانها وتصرخ صراخاً فاجعاً)

جمــــيلة : أسفاه.. هل قبضوا عليك؟

إذا، فقد حكموا عليّ الآن بالإعدام حقاً

(تبكي في انهيار مفاجئ، وعزام يدفع بقية الناس ليخرجوا ويغلق الباب وراءهم)

عــــزام : فلتخرجوا.. ودعوه لي..

امـــــرأة : هذا رهيب

(خلت القاعة الآن إلا من عزام الذي يقف مذهولاً مستنداً إلى
حائط وجميلة التي تحاول أن تمشي إلى جاسر وهي في قفص
الاتهام وجاسر الذي ارتقى منهكاً)

جمـــــيلة : الآن.. أشعر أنني حقاً أموت

جاســـــر : عزام.. هل قبضوا على أحد سواي من الصحاب

الآخرين؟

عـــــزام : هل كان غيرك هاهنا أيضاً؟

جاســـــر : أجل.. كنا ثلاثة كنا سننقذها

عـــــزام : وكيف حبت أنك تستطيع؟

لم تشاورني كما كنا تعودنا

جاســـــر : كانت مغامرة أردت بها مفاجأة الجميع

كنا سنختطف المجاهدة العزيزة ثم نهرب

جمـــــيلة : الجرح ينزف فلتكف عن الكلام

عـــــزام : (بمرارة) وسيتركون الجرح ينزف..

جاســـــر : عزام.. هل قبضوا على أحد سواي؟

عـــــزام : لا... لم يقع أحد سواك

جاســـــر : الحمد لله..

جمـــــيلة : (بأسى هائل) يا ليتهم قبضوا على كل المدينة ما عداك

أيمكن حقاً كل ذلك؟ أنعيش في الكابوس؟!

جاســـــر : لا... بل.. إنه حلم سعيد

جميلة : لا ، لا تقل لي الآن هذا.. إنهم سيعذبونك

وسيركلونك تحت أقدام الجنود

لا يا صديقي.. يا أخي.. يا.. (مستدركة) أتصير أنت بكبريائك
بالذي في القلب منك وبكل أحلام الحياة، بحكمتك
وبرأسك العالي الشموخ... بصلابتك.. وبكل إنسانيتك
أتصير أنت بكل هذا.. تحت أقدام الجنود؟

عزام : نهباً لأحذية الجنود؟!

وسيفتلونك بعد هذا... لا

(يغلبه انفعاله فيكفي وهو يرمي على جاسر ليعانقه)

جاسر : هذا هو الثمن الذي لا بد منه لمولد الزمن الجديد

جميلة : إنا دفعنا فوق ما يتخيل العقل المحدد من ثمن، لتظل أنت

إنا احتملنا فوق ما يتخيل الإنسان من ألم لتبقى
أنت... أنت!

عزام : ماذا أقول؟

جاسر : اذهب سريعاً أنت يا عزام.. قد يتبينون صلاتنا..

لتظل ضحكك الوضيئة تحمل الأمل الوضيء لآخرين
نحن انتصرونا يا صديقي

عزام : يا صديقي.. يا أخي

جاسر : إن الذين يشكلون الفجر لا يخشون عادية الظلام

عزام : ولا يخافون الغروب

(يعانقه ثم يمشي عزام منحنيًا مثقلًا)

جاسر : (كقائد) لا تحن رأسك

بلغ نجاتي لعمار وكل الأصدقاء

جميلة : وإلى منى والطالبات..

عزام : إنني لأقرئك السلام.. وإلى جميلة... الوداع!

(يسرع إلى الخارج وقد غلبه انفعاله)

جاسر : (كقائد أيضًا) ليظل رأسك عاليًا نحو السماء..

سنموت لكن لن تموت الكبرياء

(يخرج عزام)

(جاسر يتجه إلى مكان جميلة حيث تبقى هي في مكان مرتفع

خلف قضبان القفص الحديدي وهو يزحف إليها)

جاسر : إنني أبصر من طوفان هاتيك الدماء

ذهب المستقبل الزاهي يضيء

إن يكن جاسر قد ضاع

فكم من جاسر سوف يجيء

وغداً تنبت مليون جميلة

(جاسر الآن يصل إليها وهي تحاول أن تمسك بيده)

جميلة : نحن أصبحنا وحيدين.. كما كنا قديمًا..

جاسر : هكذا نحن تعرفنا.. وأصبحنا وحيدين معًا

جميلة : نحن كافحنا معًا..

وعرفنا ال....

(تضطرب وتنجل ثم تستمر) وعرفناه معاً، وكنناه معاً
غير أنا ما تحملنا معاً..

جاسر : اسكتي.. لا تقولي بعد

جميلة : إن الوقت فات

جاسر : لم يكن جاسر إلا رجلاً كملايين الرجال

رجلاً يعمل من أجل الحياة

فإذا مات.. إذا ما مات جاسر

سيقود الركب آلاف سواه

جميلة : أيها الأحياء في عصر الحقوق البشريه

أوقفوا تلك المآسي الهمجيه أوقفوا هذا العذاب

نحن من لحم ودم لا رموز من رخام

نحن لا نبحث عن مجد البطوله..

إنما نطلب أن نحيا كما يحيا سوانا

جاسر : اذكروا أن جميله لم تكن إلا فتاة كملايين سواها

لم تكن تحلم إلا أن تعيش كملايين البنات

ثم تغدو بعد هذا زوجة تمنح الأرض صغاراً طيبين

مثلها

جميلة : لم يكن جاسر أيضاً

غير إنسان يحب الخير والعدل ويهوى أن يعيش في سلام

كملايين الرجال ثم يغدو بعد هذا والدًا

يمنح الأرض صغاراً طيبين

مثله

(صوت انفجار من بعيد)

جاسر : اسمعي... آه... ما أروع هذا كله...

إنهم إخواننا

عزام : ذلك الصوت الجسور يتحدى كل شيء

جاسر : إنه عاد يدوي من جديد يحمل الرعب إلى أعدائنا

جميلة : إنه صوت الجزائر سيدوي دائماً

يحمل الأمن إلى أطفالنا

جاسر : إنه وقع خطى المستقبل الزاحف يأتي من بعيد

التحيات إليكم يا صاحب

اضربوا أيضاً لكي تستخلصوا العالم من هذا العذاب

(الجنود يقتحمون ويفرقون بينهما ويقتادون كلاً على حدة)

يا إلهي... هكذا تمضي سريعاً

جاسر : اتركونا نتصافح

جميلة : الوداع... يا..

جاسر : الوداع

جميلة : والتحيات إلى الإنسان في كل مكان

(جنود يحرون جميلة من قفص الاتهام وصوتها يختلط بصوت

جاسر)

جاسر : وسلام لأخي الإنسان في كل مكان... وزمان

"ستار الختام"



من هو مفدي زكرياء؟

- اسمه زكرياء، لقبه الشيخ، اشتهر بمفدي، وهو لقب أطلقه عليه في تونس أستاذه الخطّاب بوشناق.
- ولد في مدينة بني يزجن سنة 1326 هـ / 1908 م.
- انتقل مع والده إلى عنابة وأقام بها من سنة 1915 إلى 1922.
- سافر إلى تونس سنة 1922 للدراسة ورجع إلى الجزائر سنة 1926.
- نشاطه في الحركة الوطنية وفي ثورة التحرير:
- في سنة 1934 ألقى خطابه المشهور بعقيدة التوحيد في قاعة الخلدونية بتونس، في المؤتمر الرابع لطلبة شمال إفريقيا.
- تولى رئاسة اللجنة التنفيذية لحزب نجم شمال إفريقيا سنة 1936.
- انتخب أميناً عاماً لحزب الشعب ورئيس اللجنة التنفيذية، عند تأسيسه في مارس 1937.
- في سنة 1949 انضمّ إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية.
- انضم إلى جبهة التحرير الوطني، وألف نشيد (قسماً) سنة 1955.
- فرّ إلى المغرب ومنها إلى تونس منهك القوى بفعل التعذيب والمعاناة في السجون، وتولّى علاجه في تونس الطبيب الثائر فرانز فانزن سنة 1959.
- سافر سنة 1961 إلى المشرق لأوّل مرّة ممثلاً الجزائر في مهرجان الشعر العربي بدمشق، وأصدر ديوانه "اللّهب المقدّس" بخصوص المناسبة في بيروت، كما زار عدّة بلدان عربية.
- قبل الاستقلال، أقيم حفل تكريم كبير في تونس، عند صدور ديوانه "اللّهب المقدّس".
- عاد سنة 1962 إلى الجزائر.
- استقرّ سنة 1963 في تونس حتى 1969، حيث استقر بالدار البيضاء بالمغرب.

قصته مع السجون ومضايقات الاستعمار الفرنسي :

وجّهت السلطة الفرنسية إليه سنة 1936 تهمة التآمر على أمن الدولة مع السيد الأحول حسين، بعد إلقاءهما لمحاضرتين باسم النجم في مدينة البليدة، ثم حُلَّ "حزب النجم" في السنة التالية.

- في 16 جويلية من سنة 1937، أُلقي القبض على مصالي الحاج رئيس الحزب، ومفدي زكرياء رئيس اللجنة التنفيذية، وبقي في السجن حتى أوت 1939.
- في السنة الموالية لخروجه، أعيد إلى السجن لمدة ستة أشهر بتهمة المساس بأمن الدولة.

- بعد أحداث ماي 1945 دخل السجن لمدة ثلاثة أشهر.
- في سنة 1949 دخل السجن بسبب انضمامه لحركة انتصار الحريات.
- عاد إلى السجن سنة 1951 لمدة ستة أشهر.
- يوم 19 أفريل 1957 حكمت عليه المحكمة العسكرية بغرامة مالية ومصادرة أمواله، والسجن ثلاث سنوات.

وفاته :

- وافته المنية في مدينة تونس يوم 17 أوت 1977.
- وصل جثمانه إلى مطار الجزائر العاصمة يوم 21 أوت 1977.
- شيعت جنازته في مسقط رأسه مدينة بني يزجن، وورِي التراب في مقبرة بها.

مؤسسة مفدي زكرياء

• تأسست عام 2001 بالجزائر العاصمة ، وانتخب د. سليمان الشيخ رئيساً لها.

• تهدف المؤسسة إلى :

❖ جمع تراث "مفدي زكرياء" على المستويين الوطني والقومي ، والعمل على نشره ، وتشجيع الدراسات حوله.

❖ المساهمة في ترقية الحركة الفكرية والأدبية وتشجيع الإبداع الثقافي.

❖ إقامة علاقات تعاون مع الهيئات والجمعيات الثقافية والشخصيات الأدبية والفكرية والفنية.

❖ تنظيم جائزة "مفدي زكرياء" في الإطار الذي يحدده النظام الداخلي ، وحسب البرنامج السنوي للمؤسسة.

❖ القيام بإصدار وتوزيع منشورات ومجلات وكتب ، على المستوى المحلي والقومي والعالمي.

• من أهم نشاطات المؤسسة :

❖ إحياء سنة "مفدي زكرياء" بإقامة نشاطات خلال سنة 2002 ، تحت الرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية.

❖ افتتاح سنة "مفدي زكرياء" بفرداية في مهرجان ، حضره عدد من وجوه الثقافة العربية والوطنية أيام 16 و 17 فبراير 2002.

❖ اختتام سنة "مفدي زكرياء" بإقامة مهرجان الإبداع والذكرى أيام 24 ، 25 ، 26 ، فبراير 2003 بفندق الأوراسي - الجزائر العاصمة.

❖ إقامة ملتقى دولي حول "الأبعاد الدينية والفلسفية والتربوية في آثار "مفدي زكرياء" يومي 11 و 12 ماي 2005، بولاية غرداية - الجزائر.

❖ التحضير للملتقى دولي حول موضوع "مفدي زكرياء" شاعر الوحدة" يقام 26 و 27 سبتمبر 2005، بولاية تلمسان - الجزائر.

❖ التحضير للاحتفال بمئوية "مفدي زكرياء" خلال سنة 2008، وتسعى المؤسسة بهذه المناسبة لإصدار الأعمال الشعرية الكاملة لمفدي زكرياء.

❖ توطيد العلاقة مع الهيئات الثقافية داخل وخارج الوطن: اتحاد الكتاب الجزائريين، اتحاد الكتاب والأدباء العرب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مؤسسة الفكر العربي، منتدى المثقف العربي، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين.

• من أهم إصدارات المؤسسة :

❖ ديوان "أمجادنا تتكلم" الذي نفّض الغبار عن بعض قصائد مفدي زكرياء، تحقيق الأستاذ مصطفى حمودة.

❖ تاريخ الصحافة العربية بالجزائر بقلم مفدي زكرياء، تحقيق الدكتور أحمد حمدي.

❖ كلمات مفدي زكرياء في ذاكرة الصحافة الوطنية من 1985 إلى 1993، جمع الدكتور محمد عيسى وموسى.

❖ "مفدي زكرياء شاعر مجد ثورة.. حوارات وذكريات مع الشاعر"، للأستاذ بلقاسم بن عبد الله.

❖ "مفدي زكرياء في حنايا الجزائر"، مجموع أعمال مهرجان افتتاح سنة مفدي زكرياء، راجعها الدكتور مصطفى الغماري (تحت الطبع).

❖ "أنغام الوفاء": ديوان شعري للأستاذ سليمان دواق.

- ❖ "إلياذة الجزائر" لمفدي زكرياء في طبعة جديدة.
- ❖ "قرص صوتي مضغوط لإلياذة الجزائر"، بصوت مفدي زكرياء.
- ❖ أعمال الملتقى الدولي حول "الأبعاد الدينية والفلسفية والتربوية في آثار مفدي زكرياء".

كلمة الختام

زكريا القاضي

- قليلة هي تلك اللحظات الغالية والعظيمة في حياة أى منا...
- وأقل بكثير تلك اللحظات التى يرتدى فيها حاضره ألق ورواء ماضيه، فيسرى بداخله شعور بالفخار والمجد، كاد أن ينطمس فى غلالات عولة عاتية، تروم اقتلاع الإنسان من جذوره، واجتثاث هويته..
- ونادرة جداً تلك اللحظات السخية المعطاءة، التى يجود فيها الزمان بفرصة رائعة لأن ييث لواعج الشوق إلى من يستحق.. من رموز المجد والعزة والكرامة... فى زمن، كادت أن تخلو معاجم حياتنا من هذه المفردات...
- من أجل هذا القليل والأقل بكثير والنادر جداً... كانت قصيدتى، التى شاءت الظروف أن تكون كلمة الختام... لرحلة بلا ختام... رحلة الإنسان العربي فى الجزائر... فلسطين ... سورية... العراق... لبنان... فى كل جزء من ربوع وطننا العربي، يستعيد فيها مجده المؤثل وعزته وكرامته وهويته.. فلا تنال العولة إلا قبض الريح...

لَيْسِي كُنْتُ بَيْنَهُمْ

لَيْسِي كُنْتُ بَيْنَهُمْ

وسط حروف كل أنشودة

أنشدوها

وسط ظلال كل قصيدة

كتبوها

وسط معاني كل أغنية

غَنُّوها

لك يا جزائر

حين كانت

الحروف مصائر

الظلال مصائر

الطلاقات مصائر

❖ ❖ ❖

لَيْسِي كُنْتُ بَيْنَهُمْ

رجال الأوراس... ليوث الجزائر

كنت رَجَوْتُهُمْ

أن يتركوا بذورهم

نبت الرجال

في أرض الرجال...

في أرض يعرب...

من المشرق...
من المشرق إلى المغرب...
لأن زمن الجذب آت
وأيام القحط قادمة
تخطط...تتهدد
ريشما تظل قائمة
تتوعد... تستأسد
كيما تظل جاثمة
لأن دماء الرجال ستنضب
وسيفضبوننا فلا نفضب
وتستحيل الأسود قروذ
منذ بدايتها حتى يفنى الوجود
تستحيل الأسود قروذ
تجهل مفردات المجد والقنص
لا تفقه..
لا تفقه إلا مفردات اللعق والقفز



ليبقى كثر بينهم

زمن "جميلة" الجميل
ترفل في قشيب المجد الجليل
أنواط عزة.. أوسمة شرف.. أكاليل فخر..
إكليل يتلوه إكليل
ونضالها الهادر
فوق ثرى الجزائر
يتصرخ الأحرار والحرائر
لا تدعوا الزمن الغادر

لا تدعوا الزمن الفاجر
يمنح الرعديد سمّت صنديد
يلبس الخانع صوت المدافع
وتستحيل الأنشودات
..... القصائد
..... الأغنيات
..... من المويقات
..... من المويقات والكبائر
وتغدو كلمات السرائر
الاستسلام....
حوار ونعمة
الخنوع....
عقل وحكمة
الحكم....
ماء ولقمة
الكرامة....
لعنة ونقمة
ليس كثر بينهم
ولم أعش يوماً بعدهم...

"المحرر"

زكريا القاضي

"مدير النشر بالدار المصرية اللبنانية"